الانتـــــداب الفرنسى
فى بلاد الشرق*
للأســـتاذ بيير فينو

بيير فينو Pierre Vienot نائب فى البرلمان الفرنسى ووزير سابق لعب دوراً هاماً فى عقد المعاهدة الفرنسية السورية سنة ١٩٣٦ . وقد اطلعنا فى العدد الأخير من مجلة (السياسة الخارجية) على محاضرة ألقاها عن بلاد الشرق الأدنى آثرنا أن نلخصها فى هـذه الظروف التى تضطرب فيها سوريا فى جميع من القلق السياسى

لم أختر المعاهدة الفرنسية السورية عنواناً لمحاضرة اليوم ، ذلك لأن هذه المعاهدة ليست فى ذاتها إلا جزءاً من القضية الكبرى التى تتناول صلتنا بالشرق الأدنى ، ونفوذنا فيه ، وسياستنا معه ، وردود الفعل التى تنبعث عن هذه السياسة فى بلاد شمال أفريقية

الانتداب والحماية

لماذا كانت المعاهدة الفرنسية السورية مفاجأة للرأى العام ؟

يتجه الرأى العام الفرنسى إلى الاعتقاد بأن فرنسا (تملك) سوريا ، ولكنها لا تعاملها كما تعامل المستعمرات . بل إن واجبها أن تقوم على إرشادها ، والدفاع عنها ، ورعاية المصالح الفرنسية فيها

والواقع أنه لا يمكن تطبيق أى لون من ألوان النظم الاستعمارية فى بلاد الشرق الأدنى ، ولذلك لن أبسط الحديث عن عقم الاستعمار فى سوريا[1]، ولا عن ضعف العلاقات الاقتصادية بيننا وبين بلاد الانتداب .

والناحية الجوهرية التى يجب أن ننبه إليها هى أن الاستعمار يرافق الشعوب المتأخرة التى لا تستطيع أن تقوم على إدارة نفسها . فما هو مدى الرقى فى بلاد الشرق الأدنى ؟

إن نسبة الأميين فى لبنان تبلغ ١٦٪ ، وقد ترتفع النسبة فى سوريا إلى أكثر من ذلك فتبلغ[1] ٥٠٪ ، وإلى جانب هذه الطبقة المتعلمة نجد نخبة مختارة أصابت قسطاً وافراً من المعرفة والذكاء والعلم . وامتاز كثيرون منها بالقيام بأعباء الإدارة فى الدولة التركية .

إن فكرة الانتداب (ا)[2] التى نصت عليها معاهدات ١٩١٩ للبلاد المقتطعة من جسم الدولة العثمانية ليست وهماً ، ولكنها تطابق حقيقة اجتماعية واقتصادية وسياسية خاصة بالبلاد المذكورة ، وهذه الفكرة تختلف كل الاختلاف عن الحماية ، ونستطيع أن نجمل مميزاتها الأساسية بالتعريف الآتى :

« إن السلطة المنتدبة هى التى تمارس الحكم لتأمين تطور البلاد تحت الانتداب وتوجيهها نحو الاستقلال »

فالسلطة المنتدبة تشرع وتحكم ، ولكن كل غايتها تهذيب الشعب وإرشاده[3] . ومهمة المنتدب أشبه بمهمة الوصى ، لأن سلطته محدودة لا تتسع ، زائلة لا تدوم

قد لا يرضى تعريف الانتداب على هذا الشكل بعض الناس . وقد تكون ثمة اعتبارات نظرية أخرى ، ولكن هذه الاعتبارات تقتصر على وجهة النظر الفرنسية . أما الشعوب الشرقية فإنها ترفض هذه الاعتبارات فى إباء وقوة ، وتنظر إلى الانتداب على أنه عرض زائل ومهمة مؤقتة تنتهى مع بلوغ سن الرشد

والانتداب يتضمن فى ثناياه وعداً بالاستقلال ، وقد أثار هذا الوعد انتباه السكان فى البلاد ، وكان عاملاً فى نماء الفكرة الاستقلالية ، كما أن الخلاف بين الترك والعرب كان عاملاً آخر من العوامل المهمة فى هذا النماء

(*) من واجبنا أن ننبه القراء إلى أن هذا التفريق الذى نلحظه فى ثنايا المحاضرة بين سوريا ولبنان ليس إلا أثراً من آثار السياسة الزائفة التى تتبعها فرنسا فى تقسيم البلاد شيعاً وأديانا وحكومات ؟ فلبنان وسوريا وفلسطين حلقة واحدة من حلقات الوحدة السياسية الكبرى بين الدول العربية ، غضب (للفيتون) أم رضوا ... (للترجم)

(١) لا يتجاوز عدد الفرنسيين فى سوريا — إذا استثنينا الجنود والموظفين — أربعة آلاف فرنسى

(١) يدل الاحصاء الأخير أن نسبة الأميين فى سوريا ٣٨٪ فقط

(٢) الذين وضعوا نظام الانتداب أرادوا به لونا من ألوان الاستعمار باسم جديد ، وأشاروا فى المادة فقسموه إلى انتداب من حرف (A) ، وانتداب آخر من حرف (B) ، وانتداب ثالث من حرف (C) ... وما إلى ذلك من أسماء سموها باطلا وخداعا

(٣) هذا من ناحية حقوقية . أما الواقع فإن السياسة التى تتلل أطراف البلاد السورية تشهد على مدى رعايتها لمصالح المواطنين المستعمرين لهذا المبدأ! (للترجم)

وفي معرض التدليل على نهضة هذه البلاد يجب أن نذكر الاضطرابات السياسية التي كانت تطغى على سوريا قبل الحرب ... وألا ننسى أن الشعوب العربية قد حاربت في صفوفنا ضد الأتراك وأن قادة الحركة العربية رفضوا نظام الانتداب منذ ١٩١٩ لأنهم إنما جاهدوا في سبيل الاستقلال والوحدة ... ويكفي أن نعرض لذكر المليك « فيصل » فقد وجد نفسه بعيداً عن العرش السوري حين حاول أن يقنع القادة بقبول أسس الاتفاق الذي ارتضيناه معه[1]

لعلّ من الإنصاف ألا نغفل أثر الوطنية المصرية في بلاد الشرق، فقد ولّد انتشار المقاومة السلبية في مصر صعوبات كثيرة اصطدمت بها إدارتنا في سوريا

وقد اتجهت سياسة فرنسا بعد الثورة السورية الكبرى اتجاهاً شديداً، ونستطيع أن نذكر هنا مجموعة من الوعود التي صدرت عن الحكومة الفرنسية حول هذا الموضوع

ففي سنة ١٩٢٧ أكد مسيو بريان Briand رغبة فرنسا في أن تبقى أمينة على انتدابها. وفي عهد المفوض السامي مسيو بونسو Ponsot كانت أولى المحاولات في سبيل عقد معاهدة بين فرنسا وسوريا. وقد تمخضت هذه المحاولات عن معاهدة سنة ٣٣ التي وقعها مسيو دومارتل M. de Martel، وفي نفس الوقت صدرت تصريحات فلاندان Flandin بقرب انتهاء الانتداب، كما نُشر خطاب « هنري بيرانجيه » الذي رحّب فيه بدخول العراق في عصبة الأمم، في شيء كثير من الحماس، وأشار إلى أن فرنسا ستنتهج في سوريا نفس السياسة التي انتهجتها انكلترا في العراق

وفي سنة ٩٣٣ عرض مسيو دلادييه Daladier في مجلس النواب لمفاوضات مسيو بونسو وأظهر اغتباطه بعقد المعاهدة بين سوريا وفرنسا[2]

على أن بيان العميد السامي المسيو دومارتل كان أقوى هذه التصريحات كلها. ففي أول مارس سنة ١٩٣٦ صدر هذا البيان بموافقة مسيو فلاندان وزير الخارجية، وتضمن وعداً صريحاً بعقد معاهدة سورية فرنسية على مثال المعاهدة العراقية الإنكليزية

أما فيما يتعلق بالانتداب الفرنسي في بلاد الشرق فنحن نواجه وضعاً خاصاً يجب أن ننظر إليه بعين الاعتبار إذا نحن أردنا أن ندرك المعنى العام لنظام هذه المسألة المعقدة

إن الانتداب الفرنسي واحد في الشرق، ولكن ثمة دولتين مختلفتين هما سوريا ولبنان تحتاجان إلى نظام خاص يربط علاقاتهما في المستقبل. ومن الخير لفرنسا أن يكون هناك معاهدتان مختلفتان لكل من هذين البلدين تأميناً للمصالح الفرنسية وحرصاً على سلامتها

ويرجع الانتداب في سوريا إلى عهد قريب ... فقد نشأ بعد ثورة العرب ضد الترك، ولكن الانتداب على لبنان يرجع إلى مدى أبعد، ويتصل بأيام حماية مسيحيي الشرق ولا سيما المارونيين في لبنان

ولقد كان هذا الانتداب في لبنان مستساغاً مقبولاً، وكانت اللغة الفرنسية شائعة، وهذا يصادف دون ما شك هوى في نفوسنا لأن لبنان يهمنا بوجه خاص كقاعدة منيعة فرنسية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط

وإذن فنحن مضطرون إلى عقد معاهدتين مختلفتين . . .

وقد أشار إلى ذلك « لوسيان هوبرت » في تقريره عن المعاهدة في لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ، ولاحظ كيف قوبلت هذه المعاهدة في سوريا بشيء من الحيطة والحذر، بينما وجدت في لبنان رواجاً وارتياحاً عظيمين

« ولكن الواقع أن التعاقد مع سوريا شرط أساسي للتعاقد مع لبنان، ومصالح فرنسا وفائدتها من الانتداب يجب أن ترجى في لبنان لا في سوريا »

تلخيص

شكري فيصل

[البقية في العدد القادم]

(١) هذه قضية تاريخية هامة لا يكفي فيها أن يقذف الكلام من غير تدقيق وروية

(٢) إن دلادييه نفسه يمارس اليوم، وهو في منصب رآسة الوزارة، ما كان يحمده ويدعو إليه فما أشد ما تفعل هذه الكراسي « المسحورة » ! (المترجم)

معهد التناسليات

معهد التناسليات [illegible] تليفون ٥٢٥٧٨ [illegible] زيارة المساء طبقاً لأحدث الطرق العلمية [illegible] ١٠-١ و٤-٦ [illegible]